مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية
المجلد (١٦) العدد (٢) شباط (٢٠٠٩)

تأثير الوضع السياسي على المذهب الظاهري
ابن حزم القرطبي... أنموذجاً (٣٨٤ ـ ٤٥٦هـ / ٩٩٤ـ ١٠٦٣م)

أ. م. د. عبد الحميد حسين احمد السامرائي
كلية التربية – سامراء / جامعة تكريت

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للناس اجمعين والهادي الى الصراط المستقيم وقد نزل عليه القرآن بأكمل شريعة واهدى طريقة، نزل به الروح الامين.

وبعد :

بعد اختلال سلطة بني امية في الاندلس، تفرق اهلها فرقاً وتغلب في كل جهة متغلب وضبط كل متغلب منهم ما غلب عليه وتقسموا القاب الخلافة، فمنهم من تسمى المعتضد وبعضهم تسمى المأمون واخر تسمى المستعين والمقتدر الى غير ذلك من الالقاب الخلافية، وبذلك يقول ابن رشيق[١] :

مما يزهدني في ارض اندلس سماع مقتدر فيها ومعتضد
القاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخاً صولة الاسد.

" وانقطعت الدولة الاموية من الارض وانتثر سلك الخلافة بالمغرب وقام الطوائف بعد انقراض الخلائف وانتزى الامراء والرؤساء، من البربر والعرب والموالي بالجهات واقتسموا خطتها وتغلب بعض على بعض، واستقل اخيراً بأمرها منهم ملوك استفحل امرهم وعظم شأنهم ولاذوا بالجزي للطاغية ان يظاهر عليهم ويبتزهم ملكهم واقاموا على ذلك برهة من الزمان حتى قطع اليهم البحر ملك العدوة وصاحب مراكش امير المسلمين يوسف بن تاشفين اللمتوني فخلعهم واخلى منهم الارض "[٢].

وبأنهيار الخلافة الاموية انفرط عقد المسلمين بانهيارها وقام على انقاضها العديد من الدويلات الاسلامية وتغير دافع المسلمين، اذ تحولت الوحدة الى فرقة والاجتماع الى تشتت الوحدة بكل معانيها الى ضعف وخور والغايات النبيلة الى اهداف ومطامع رخيصة.

واشتد ايثار ولاة الامر لأهل الفقه والدين واصبحت امور المسلمين راجعة اليهم واحكامهم صغيرها وكبيرها وموقوفه عليهم فكثرت كذلك اموالهم واتسعت مكاسبهم، فنفقت في ذلك الزمان كتب المذهب المالكي وعمل بمقتضاها ونبذ ما سواها، وكثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث رسول الله، فلم يكن احد من مشاهير اهل ذلك الزمان يعتني بهما كل الاعتناء وفي خضم الوضع السياسي والحياة الدينية ظهر ابن حزم فقيه ظاهري امام بلغ رتبة الاجتهاد وعاد بالفقه غظ الايهاب رحب الجناب كما كان في عهده الاول ولكن في جملة ما اجتهد وبحث واستنبط لم يخرج عما وصل اليه الائمة الاربعة الا القليل من مسائل الفقه.

احيا ابن حزم الفقه الظاهري، فقه داود الاصبهاني وسلك به مسلكاً، اتسم بسمته فوسع رحابه وايد فروعه بالادلة فناقض مخالفيه في اقوال صارمة، وعاضد اقوال الظاهرية بأقوال بعض الائمة ان وجد فيها نصيراً فأستخرج من ذلك الخضم الزخار من الاثار السلفية نفائس انفرد باستخراجها وكشفها " كان يحمل علمه ويجادل من خالفه فيه على استرسال في طباعه وبذل باسراره واستناداً على العهد الذي اخذه الله على العلماء من عباده "(٣).

وحدة في الجدل وصراحة في القول ومنهاج اختص به وجعل فقهاء عصره ينفرون منه ويحرضون عليه الامراء والحكام ولعل ذلك ناتج عن استطالته في القول عليهم ولا يجدون رداً عليه ومخالفته المذهب المالكي والاتيان بفقه لم يألفوه ومنهاجاً لم يعرفوه.

ان هذه القدرة الذاتية والمهارات الابداعية التي تمتع بها ابن حزم كان تأثيرها ضئيلاً امام الوضع السياسي الذي كان سائداً حينذاك والذي كان يدعم المذهب المالكي بعلمائه وفقهائه.

فكان طبيعياً حينما طاف ابن حزم لدول الطوائف مدافعاً عن مذهبه فأصطدم بفقهاء المالكية الذين اوغرو احد الحكام عليه، فأمتنعوا عن سماع دروسه في جامع قرطبة " فكان ابن حزم كثير الوقيعة في العلماء بلسانه وقلمه فأورثته ذلك حقداً في قلوب اهل زمانه وما زال به حتى بغضوه الى ملوكهم فطردوه عن بلاده "[٤] وتحت تأثير الفقهاء امر المعتضد بن عباد ملك اشبيلية بحرق كتبه وتحريم قرائتها.

قسم البحث الى ثلاث معطيات **اولهما** : تناولت فيه ابن حزم الظاهري، نشأته وحياته، وتلقيه العلم على اكابر شيوخ الاندلس وغيرهم، ثم استعرضت شخصيته الثقافية ثم افردت فقرة خاصة بمذهبه الفقهي والتقلبات التي تقلبها بين المالكية والشافعية واخيراً المذهب الظاهري الذي استمر عليه حتى وفاته عام (٤٥٦هـ / ١٠٦٣م) مع مناقشة بعض ارائه الفقهية. **وثانيهما** : تطرقت الى طواف ابن حزم في دول الطوائف دفاعاً عن مذهبه الظاهري فاصطدم بعلماء المالكية الذين اوغروا صدر المعتضد بن عباد عليه فأمر بأحراق كتبه وتحريم قرائتها.

ثم ملائمة الظروف السياسية التي دعمت المذهب الظاهري وادت الى انتشاره في المغرب والاندلس، وما كان لدولة الموحدين من اثر بارز في نشر المذهب في المغرب خاصةً والاندلس عامةً، اضافة الى دور العلماء الذين رحلوا الى المشرق وعادوا الى الاندلس، اذ كان دورهم كبير في نشر المذهب في الاندلس.

اما ثالث المعطيات، فتناولت فيه طريقة ابن حزم بعد تطبيقها على علوم الدين والفقه اذا أصبح مذهباً قائماً بذاته، حل محل المذهب الظاهري، وكون له اتباعه فرقةً عرفت بالحزمية.

أولاً : ابن حزم الظاهري

الامام العلامة ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم القرطبي، اشهر شخصيات الاندلس في ذلك العصر وصاحب المؤلفات الكثيرة، من اولئك الموسوعين

الذين عرفتهم الاندلس، وتعددت جوانب نشاطه الفكري، وكان في كل منها يبدو وكأنه كرس كل جهوده بذلك الحقل وحده كما تعددت جوانب حياته من سياسة وعلمية ودينة وعاطفية، وقد فهم الاسلام على انه جماعة لكلها وبأنصع الصور وانقاها. وقد وصفه صاعد بن احمد (ت: ٤٦٢هـ/١٠٧٠م)، " كان ابو محمد ابن حزم اجمع اهل الاندلس قاطبةً لعلوم الاسلام واوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والاخبار "[٥].

كما كان حفيد ابن حزم احمد بن سعيد بن علي بن حزم (فقيهاً على مذهب جده ابي محمد الظاهري عارفاً مصمماً عليه، صليباً فيه مجادلاً عنه مع معرفة بالنحو ومشاركة في قرض الشعر)[٦].

وكان اليه المنتهى في الذكاء وحدة الذهن وسعة العلم بالكتاب والسنة والمذاهب والملل والنحل والعربية والاداب والمنطق والشعر مع الصدق الديانة والسؤدد والرئاسه والثروة وكثرة الكتب[٧].

نشأته وحياته

اصل عائلته من العرب الذين استقروا في بلاد فارس، فكان جده دخل بلاد الاندلس واستقر في قرطبة فولد ابن حزم فيها سنة (٣٨٤ هـ/ ٩٩٤ م)[٨]، فقرأ القرآن الكريم واشتغل بالعلوم الشرعية وبرع فيها، فكان عالماً ومؤرخاً وفقيهاً، وحافظاً بعلوم الحديث وفقهه مستنبط للأحكام من الكتاب والسنة متفنناً في علوم جمه عاملاً بعلمه[٩]. حتى فاق اهل زمانة[١٠].

تلقى ابن حزم المعرفة على عدد من العلماء المعروفين في الاندلس، تعرف الى الكثير منهم في مجالس ابيه الذي كان وزيراً و أحد اصدقاء الحاجب المنصور ابن ابي عامر (٣٦٦-٣٩٢هـ/٩٧٦-١٠٠٢) وكان ابوه نفسه اديباً عالماً وهو الذي يقول " اني لأعجب ممن يلحن في مخاطبة او يجيء يلفظة قلقه في مكاتبة لأنه ينبغي له اذا شك في شيء ان يتركه ويطلب غيره، فالكلام اوسع من هذا "[١١]. ومن شيوخه ابي عمر احمد بن محمد بن الجسور (ت: ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م)، الذي روي عنه قبل الاربعمائة[١٢].

وعن القاضي يونس بن عبدالله وابي بكر حمام بن احمد القاضي[١٣]، وابو علي الحسين بن علي الفاسي كان هذا "من اهل العلم والفضل مع العقيدة الخالصة والنية الجميلة "[١٤].

ومن تلاميذه محمد بن ابي نصر فتوح بن عبدالله الحميدي (ت: ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م)، صاحب كتاب جذوة الاقتباس، وهو الذي ادخل كتب ابن حزم الى المشرق، وصاعد الاندلسي صاحب كتاب (طبقات الامم) وابو محمد العربي والد الفقيه المعروف ابي بكر بن العربي[١٥].

وابن حزم صاحب حديث وفقه وجدل، وله مؤلفات في التاريخ والفلسفة والاداب والشريعة وعلوم الدين والفلسفة والمنطق، وكان شافعي المذهب يناضل الفقهاء عن مذهبه[١٦]، " ثم عدل في الاخر الى قول اصحاب الظاهر مذهب داود بن علي (ت:٢٦٩هـ/٨٨٢م)، ومن تبعه من فقهاء الامصار فنقحه ونهجه وجادل عنه ووضع الكتب في بسطه وثبت عليه الى ان مضى بسبيله، وكان يحمل علمه ويجادل عنه لمن خالفه فيه على استرسال في طباعه واستناداً الى العهد الذي اخذه الله على العلماء من عباده ليبينه للناس ولا يكتمونه فأل امره الى ما عرف "[١٧].

وكان لابن حزم في الادب والشعر نفس واسع وباع طويل، فلم يكن احداً يقول الشعر على البديهة اسرع منه[١٨]، وله قصيدة يفتخر بها بالعلم ويذكر اصناف ما علم منها، وقد قالها بأن اهل الاندلس لم يقدروا علمه كما ينبغي، ولأنه منهم ولم يكن من المشرق بقوله[١٩] :

انا الشمس في جو العلوم منيره ولكن عيبي ان مطلعي الغرب
ولو انني من جانب الشرق طالع لجد علي ما ضاع من ذكري النهب
ولي نحو افاق العراق صبابة ولاغرو ان يستوحش الكلف الصب
فأن ينزل الرحمن رحلي بينهم فحينئذ يبدو التأسف والكرب
فكم قائل اغفلته وهو حاضر واطلب ما غنته تجيء به الكتب.

وله قصيدة اخرى يبين فيها رغبته في نشر العلم والمعرفة منها[٢٠] :

مناي من الدنيا علوم ابثها وانشرها في كل باد وحاضر
دعاء الى القرآن والسنن التي تناسى رجال ذكرها في المحاضر.

وكان يلتقي العلماء واهل المعرفة، متفقهاً بعلمهم، او مجادلاً لهم، حيث عرف بمهارته الجدلية العالية، وكان قوياً وصريحاً في مجادلاته. ومن ظريف مجادلاته انه حينما ذهب الى جزيرة ميورقة وقد لجأ ابن حزم الى رعاية عاملها ابن رشيق (ت: بعد ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م)، ناظره هنالك الفيلسوف ابو الوليد الباجي فقيهاً مالكياً نابهاً وأشعرياً فذاً، فيروي لنا المقري ان الباجي قال لابن حزم " انا اعظم منك همة في طلب العلم لأنك طلبته وانت معان عليه تسهر بمشكاة الذهب، وطلبته وانا اسهر بقنديل بائت السوق، فقال ابن حزم : هذا الكلام عليك لا لك لأنك انما طلبت العلم وانت في تلك الحال رجاء تبديلها بمثل حالي وانا طلبته في حين ماتعلمه وما ذكرته، فلم ارجوا به الا علو القدر العلمي في الدنيا والاخر فأفحمه "[٢١].

ويبدو ان ابن حزم قد غلب في مجادلة الباجي، ويرد ابن حيان ذلك الى تعصبه لمذهبه ومبدئه السياسي[٢٢].

اذ كان ابن حزم من اسرة عملت في السياسة وكان له ولأبيه فيها شأن فقد كان ابوه وزيراً ثم صار هو من بعده وزيراً لعبدالرحمن بن هشام بن عبدالجبار بن عبدالرحمن الناصر الملقب بالمستظهر بالله (ت: ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م)، الذي كانت ولايته شهراً واحداً وسبعة عشر يوماً ثم " انه نبذ الوزارة واطرحها اختياراً واقبل على قرائة العلوم وتقييد الاثار والسنن فنال من ذلك ما لم ينل احداً قبله بالاندلس... وله مصنفات كثيرة جليلة القدر شريفة المقصد في اصول الفقه وفروعه على مهيعه الذي يسلكه ومذهبه الذي يتقلده وهو مذهب داود بن علي بن خلف الاصبهاني الظاهري ومن قال بقوله من اهل الظاهر وثقات القياس والتعليل "[٢٣].

وكان لأبن حزم بعض الانشطة السياسية الاخرى فقد كان يجاهر بولائه للأمويين او الميل اليهم والدليل على ذلك انه يعد ولايتهم ولايةً شرعية ونتيجة للأحداث السياسية في الاندلس فقد ترك ابن حزم السياسة، الذي كان يدعوا الى وحدة البلاد الاسلامية شأنه

بذلك شأن سليمان الباجي وغيره، وعاد الى الدرس والبحث والتنقيب والاستحفاظ من الاحاديث والمناضرة في الفقه ودراسته وترك السياسة التي جذبته اليها، وحمل عليها، ولابد ان تؤثر تلك الاحداث السياسية في افكاره وارائه الفقهية[٢٤].

ب . مذهبه الفقهي

كان ابن حزم في بداية امره مالكياً، فقد كان هو المذهب السائد في الاندلس، علاوةً على المذهب الرسمي للدولة وقد ذكر ابن حزم، ان مذهبين انتشرا بقوة السلطان مذهب ابي حنيفة بالمشرق ومذهب مالك بالمغرب فكان من مقتضى المنطق ان يتجه ابن حزم الى المذهب المالكي. ثم وجد في نفسه ميلاً لمذهب محمد بن ادريس الشافعي (ت:٢٠٤هـ/٨١٩م)، فأنتقل اليه، ولعل الذي اعجبه في المذهب الشافعي شدة تمسكه بالنصوص واعتباره الفقه نصاً أو حملاً على النص، وكان الشافعيون يومئذ قلة في الاندلس ولم يظل ابن حزم شافعياً الا فترة قصيرة، اذ استحسن المذهب الظاهري، ورأى فيه ما رأى داود الاصبهاني شيخ المذهب الظاهري وتلميذ الشافعي، يدعو الى التمسك بالنصوص وحدها فلا طلب بالنهي او الامر الا على النص او ألاثر، وبذلك يقول المقري " وكان ابن حزم صاحب حديث وفقه... وكان شافعي المذهب يناضل الفقهاء على مذهبه، ثم صار ظاهرياً فوضع الكتب في هذا المذهب وثبت عليه الى ان مات "[٢٥].

والمذهب الظاهري هو المذهب الذي انشأه في المشرق داود بن علي الاصبهاني (ت:٢٦٩هـ/٨٨٢م)[٢٦]، الذي يرمي الى التمسك بظاهر الايات القرآنية، أي بمعناها اللفضي والذي اعتنقه ابن حزم ودافع عنه حتى في شعره حين يقول[٢٧] :

الم تر اني ظاهري وانني على ما بدا حتى يقوم دليل

وقد عرض ابن حزم منهجه في مؤلفه الكبير (الاحكام في اصول الاحكام) ويظهر ابن حزم زاعماً انه يستند فقط على قواعد اللغة العربية التي يستعملها ببراعة بالغة، يظهر تارة الصفة العامة لآية قرأنية ظاهرها خاص، وتارة الصفة الخاصة لأية

ظاهرها عام، اما نقده للحديث فهو شديد الدقة، وقد قاده الى حذف الكثير لأنه موضوعاً[٢٨].

وقد وقف ابن حزم ضد مختلف طرق الفقهاء هذه الطرق التي يلخصها في عنوان مؤلفه (ملخص ابطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل) والواقع يجعل القياس هدفه الرئيس، هذا القياس الذي اقامه المذهب الشافعي من اجل اضفاء الشرعية على الرأي، هذا القياس الذي قبله اخيراً المذهب المالكي نفسه، بعد ان جدده ابو الوليد الباجي[٢٩].

ان ابن حزم فقيه ينكر القياس، ويشتد في نقد فقهاء القياس نقداً مراً، ثم يشتد في نقد الاستحسان، فهل اسعفته النصوص والاثار في كل ما استنبط : لقد اجتهد وفرع الفروع وشعب المسائل، فهل اسعفه النص والاثر في كل ما فرع واستنبط، ولا شك انه اتى في دراساته الفقهيه بأكبر مجموعة من الاثار والنصوص ومع ذلك لا نحسب ان النصوص قد اسعفته بكل الاحكام في الفروع التي تصدى اليها نفياً او، اثباتاً، ولا بد انه سلك في اجتهاده نوع من الاستنباط أي كان مقداره.

وبذلك يقول ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٤م) " والعجب كل العجب منه انه كان ظاهرياً حائراً في الفروع لا يقول بشيء من القياس لا الجلي ولا غيره، وهذا الذي وصفه عند العلماء وادخل عليه خطأ كبير في نظره وتصرفه وكان مع هذا من اشد الناس تأويلاً في باب الاصول وايات الصفات واحاديث الصفات لأنه كان اولاً قد تظلع من علم المنطق اخذه عن محمد بن الحسن الكناني القرطبي... ففسد بذلك حاله في باب الصفات "[٣٠].

ان مذهب ابن حزم لم يتعد الفكر التأملي الخاص لعدد من الاتباع النادرين وعلى العكس من ذلك، فأن أثره على المستوى الفكري، يظهر في صورة عملية وتطهيريه رائعة في غاية الخصوبة، كما تبينه مؤلفات ابن حزم التالية، وفي الواقع تكون عملية التطهير هذه هي التي قادته الى تأليف اول تاريخ للافكار الدينية بسبب رغبته في نقد الاهواء والنحل وهو ما فعله في الفصول الخاصة بالدين (الفصل في الملل والاهواء والنحل) ومن الطبيعي لا يكون مخططه تاريخياً بل منهجياً فالمؤلف ينقد اولاً اليهودية ثم

النصرانية ثم يستعرض في صلب الاسلام وجميع الاراء من اجل رفضها دفاعاً عن المذهب الظاهري.[٣١]

فكان ابن حزم لا يقبل الا حكم العقل بل هو اقرب الى العقليين منه الى العاطفيين كما يقول اسين بلاثيوس " لان مزاجه الذي جمع بين الهدوء وارزانه والنفاذ والصلابه والقدرة على قبول الحقائق الجافه جعله بمناي عن الاستغراق في فيوض الحياة الروحية "[٣٢].

وحاول ابن حزم في دراسته في موضوع الاديان ان يوفق بين العقل والعقيدة، واجتهد ان يطبق على الالهيات اصول المذهب الظاهري الذي اعتقده متتبعاً في ذلك قواعد عامه اوجزها اسين بلاثيوس : " الاخذ بالمعنى الحرفي الظاهر للفظ القرآن والاجتهاد في تفسير اية تفسيراً عقلياً طبيعياً، اجتهاد يقوم على ما ورد في معالم اللغه في معاني الالفاظ وما قرره اللغويون من قواعد البلاغة العربية واصولها، والتزم ما اجمعت عليه الاحاديث الموثوق فيها مما صح سنده عن الصحابة او ما قرره اجماع المسلمين وذلك دون تقليد لرأي أي مذهب معين، وقد اعتمد ابن حزم في ذلك على مذهب الغنوص الذي يقول بأن ذات الله وصفاته وافعاله لا يحيط بها العقل البشري اذ ان الايمان على حد قوله لابد ان يصدر عن قلب مدرك لوجود الله بالفطره، اذ يعتبر ذلك لا بتيسر للعقل الانساني ان يدرك ذات الله وصفاته وافعاله "[٣٣].

مصنفاته :

اما مصنفات ابن حزم فكثيرة في كل ما التحق به من العلوم وجمع من الكتب في علم الحديث والمصنفات والمستندات شيئاً كثيراً، وصنف في فقه الحديث كتاباً كبيراً سماه (كتاب الايصال الى فهم كتاب الخصال الجامعة بمجمل شرائع الاسلام في الواجب والحلال والحرام وسائر الاحكام على ما اوجبه القرآن والسنة والاجماع) اورد فيه اقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من ائمة المسلمين في مسائل الفقه والحجة لكل طائفة والاحاديث الواردة في ذلك من الصحيح والسقيم بالاسانيد[٣٤]، وقد ضاع هذا الكتاب،

ويبدو انه شرح لأصول المذهب المالكي ونقد له ومجادلة للمالكية في بعض المسائل الفقهية.

وله كتاب (الاحكام لأصول الاحكام)[٣٥]، وكتاب (الفصل في الملل والاهواء والنحل)، يتناول دراسة الاديان والمذاهب والفرق الدينية المختلفة، ومقارنة بعضها بالبعض الاخر، وهذا النوع من الدراسة، هو دراسة التاريخ المقارن للاديان، وهو كتاب نقدي للاديان والفرق والمذاهب، وهو كتاب ضخم حافل بما فيه من مادة وافكار يعرض فيه ابن حزم شتى مذاهب الذهن البشري في موضوع الدين من الالحاد المطلق الذي عليه الفسطائيون الذين لا يؤمنون بشيء بل لا يؤمنون بأن تفكيرهم نفسه حقيقة مجردة الى ايمان العوام الذين يصدقون كل شيئ، وكتاب (الصادع والرادع على من كفر اهل التأويل من فرق المسلمين والرد على فرق التقليد) وكتاب (شرح حديث الموطأ والكلام على مسائله) وكتاب (الجامع في حد صحيح الحديث بأختصار الاسانيد والاقتصار على اصحها)، ومن مصنفاته ايضاً كتاب (الاصول والفروع)، وكتاب (التقريب لحد المنطق)، وكتاب (ملخص ابطال القياس)، ورسالة الجامع، ورسالة في امهات الخلق، ورسالة في المفاضلة بين الصحابة، وكتاب (السياسة)، وكتاب (التلخيص والتخليص في المسائل النظرية وفروعها التي لا نص عليها في الكتاب والحديث) وكتاب (منتقى الاجماع وبيانه من جملة ما لا يعرف فيه اختلاف) وكتاب (الامامة والخلافة في سير الخلفاء ومراتبها والندب والواجب منها) وكتاب (كشف الالتباس ما بين اصحاب الظاهر واصحاب القياس)[٣٦]، وغيرها من الكتب الكثيرة[٣٧].

فكان ابن حزم لا يدع المثابرة على العلم والمواضبة على التصنيف والاكثار منها حتى كمل من تصانيف في فنون العلم وقر بعير[٣٨]، وهذا ما اكده ابنه ابو رافع الفضل بن علي بقوله " اجتمع عنده بخط ابيه من تواليفه نحو اربعمائة مجلد يشتمل على قريب من ثمانين الف ورقه"[٣٩].

ثانياً: المذهب الظاهري والوضع السياسي

أ- المذهب الظاهري :

الظاهريون هم اتباع داود بن علي الاصبهاني، ممن يلتزمون التقليد المأثور ويأخذون بالمعنى اللفظي لكلام الله تعالى في كتابه الكريم درس داود علي المذهب الشافعي وتخرج على تلاميذه واصحابه، ولكنه لم يلبث الا قليلاً اخذاً بالمنهاج الشافعي حتى خرج عنه، وقال ان المصادر الشرعية هي النصوص فقط، فلا علم في الاسلام الا في النص وابطل القياس ولم يأخذ به، ولقد قيل له كيف تبطل القياس وقد اخذ به الشافعي، فقال اخذت ادله الشافعي في ابطال الاستحسان فوجدتها تبطل القياس، وبذلك نراه يبطل القياس كما ابطل الشافعي الاستحسان ولذلك اتجه الى علم السنة [٤٠].

وفي الوقت الذي خبا ضوء المذهب الظاهري بالمشرق وحل محله المذهب الحنبلي على يد القاضي ابي يعلى (ت: ٤٥٨هـ/١٠٦٥م)، اخذ المذهب الظاهري طريقه الى الاندلس، اذ ظهر فكر قوي ينطق به لسان ابن حزم الاندلسي، الذي اخذ يقر المذهب الظاهري بقوة وعنف، بأستحسانه المذهب وبذلك نجده ظاهرياً قبل سنة (٤١٩هـ/١٠٢٩م).

وبذلك يقول المراكشي (ت: ٦٤٧هـ/١٢٤٩م) : " انه نبذ الوزارة واطرحها اختياراً وقبل على قراءة العلوم وتقييد الاثار والسنن فنال في ذلك مالم ينل احد قبله بالاندلس وكان على مذهب الامام ابي عبد الله الشافعي رحمة الله واقام على ذلك زماناً، ثم انتقل الى القول الظاهر وافرط في ذلك حتى اربى على ابي سليمان داود الظاهري وغيره من اهل الظاهر، وله مصنفات كثيرة جليلة القدر شريفة المقصد في اصول الفقة وفروعه على مهيعة الذي يسلكة ومذهبه الذي يتقلده وهو مذهب داود بن علي بن خلف الاصبهاني الظاهري، ومن قال بقوله من اهل الظاهر وثقات القياس والتعليل "[٤١].

وبأجماع العلماء انه اول من اظهر القول بالظاهر ولذا يقول الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) فيه " انه اول من اظهر انتحال الظاهر ونفى القياس في الاحكام قولاً واضطر اليه فعلاً فسماه دليلاً "[٤٢].

ولعل ما يوضح مذهب الظاهرية ما كتبه هو نفسه في كتابه اصول الفقه المسمى (الاحكام في اصول الأحكام) وقد سلك فيه مسلكاً يدل على الابتكار، وتكلم في مسائل لم يتكلم فيها اهل المشرق من الظاهرية، ومن خير ما فيه فصل في الدفاع عن

الحجج العقلية ووجوب الاخذ بها، وفصل أخر في معنى الصحابي وانه ليس كل من رأى النبي صلى الله عليه وسلم وفصل في كيفية ظهور اللغات وفصل في معنى الظاهرية وملخصه ان الظاهري لا يعتمد على استنباط الاحكام الشرعية على القياس بل على النص واذا كان النص مطلقاً اخذ على اطلاقه الا اذا قيده نص اخر واعتماد الظاهرية على النصوص فقط اسلمهم احياناً الى بعض المتناقضات مثل انهم يوجبون غسل الاناء من ولوغ الكلب لوجود النص ولا يغسلونه من ولوغ الخنزير لعدم نص في ذلك بينما يبيحون الرخص لبعض المسائل ويشددون في البعض الاخر، فهم مثلاً يجيزون كالجنب قراءة القرآن الكريم والجلوس بالمسجد وهم لم يشترطوا في البيع صفة خاصة كبعض المذاهب، وهذا يسر ظاهر ولكنهم اوجبوا غسل اليد ثلاثاً بعد النوم وكلموا بنجاسة الماء الذي مسته يد مستيقظ لم يغسل يده...الخ(٤٣).

ابن حزم وقع في بعض التناقضات، نتيجة اعتماده على ظاهر النصوص، دون الاخذ بالسياق العام للأيات القرآنية، فالخنزير مذموم في القرآن الكريم، وقراءة القرآن الكريم ودخول المسجد تشترط فيها الطهارة.

وهكذا اصبح ابن حزم اشهر علماء الاندلس واكثرهم ذكراً في مجالس الرؤساء وعلى السنة العلماء وذلك لمخالفته مذهب مالك بالمغرب والاندلس، واستبداد معلم الظاهر ولم يشتهر به قبله احد، وقد كثر اهل مذهبه واتباعه في الاندلس وقد بقيت شهرته كبيرة بعد وفاته، وقد ماتت العداوات بينه وبين اعدائه بموته، وظل موضع اجلال وتقدير من العلماء بعده(٤٤).

ب_ ابن حزم وفقهاء المالكية

كان فقهاء الاندلس جلهم على المذهب المالكي، وكان للبعض منهم دور كبير في سياسة الحكم القائم ولاسيما حكم بني ذي النون ويبدو ذلك واضحاً في دور الفقيه ابي بكر الحديدي الذي اعتمد عليه في ادارة الدولة منذ قيام الحكم الذنوني (٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م) حتى ايام حكم القادر يحيى بن اسماعيل بن ذي النون (٤٧٤-٤٧٨هـ/ ١٠٨١-١٠٨٥م) حيث قتل وعلى اثر ذلك قامت الفتنة في طليطلة(٤٥).

فقد كان فقهاء المالكية مساهمين مساهمة فعالة في سياسة الدولة، وذوي تأثير كبير على الحكام بشكل وبآخر وفي هذا العصر يظهر ابن حزم الذي كان من اشد العلماء تأثيراً بروح العصر وانتفاعاً من ثمراته وان كانت المنازعة بينه وبين فقهاء عصره قائمة، فبينما هم مالكيون، يكون هو شافعياً ثم يخرج عليهم بالمذهب الظاهري يجادل عنه ويحميه وهكذا تصبح المواجهة بين المالكية مدعومة بالوضع السياسي المتمثل بالامراء وملوك الطوائف، وبين ابن حزم الذي لا يمتلك سوى قدراته الذاتية وابداعاته ومهاراته العقلية.

طاف ابن حزم بدول الطوائف مدافعاً عن مذهبه، فاصطدم بعلماء المالكية الذين تعاونوا مع الحكام، وكانت النتيجة ان اصطدام بهم وهاجمهم بشده فأعلنوها حرباً شعواء عليه والبوا الناس عليه على انه يهاجم الامام مالك والائمة الاربعة وبذلك يقول ابو العباس بن العريف (ت: ٥٣٦هـ/١١٤١م)، " كان لسان بن حزم وسيف الحجاج بن يوسف شقيقين وانما قال ذلك لكثرة وقوعه بالائمة "[٤٦]. ويخرج على الناس بفقه لا يتصل بفقه المذاهب الاربعة فأمتنعوا عن سماع دروسه في جامع قرطبة، وبذلك يقول لسان الدين ابن الخطيب نقلاً عن ابن حيان (ت: ٤٦٩هـ/١٠٧٦م) : " استهدف الى فقهاء وقته فتالبوا على بغضه ورد قوله واجمعوا على تضليله وشنعوا عليه وحذروا سلاطينهم من فتنته ونهوا اعوامهم من الدنو اليه والاخذ عنه فطفق الملوك يقصونه عن قربهم ويسيرونه عن بلادهم الى ان انتهوا به منقطع اثره بتربة بلده من بادية لبلة وفيها توفى غير راجع الى ما ارادوا "[٤٧].

وهذا ما اكده ابن كثير حينما قال : " كان ابن حزم كثير الوقيعة في العلماء بلسانه وقلمه، فأورثته ذلك حقداً في قلوب اهل زمانه، وما زال به حتى بغضوه إلى ملوكهم فطردوه عن بلاده حتى كانت وفاته في قرية له في شعبان سنة ٤٥٦ هـ وقد جاوز السبعين "[٤٨].

وتحت تأثير فقهاء المالكية امر المعتضد بن عباد (٤٠٣- ٤٦٢ هـ/ ١٠٩٢- ١٠٦٩ م) ملك اشبيلية بحرق كتب ابن حزم وتحريم قراءتها وقد قال ابن حزم في هذا الصدد[٤٩] :

ان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي تضمنه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائبي وينزل ان انزل ويدفن في قبري
دعوني في احراق رق وكاغد وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
والا فعودوا في المكاتب بدأةً فكم دون ما تبغون لله من ستر.

ان هذا القول يشير الى السبب المباشر لبغض فقهاء المالكية لأبن حزم، ولكن لابد من اشياء اخرى فللأمراء مقاصد تكون هي المؤثرة، اذ يتخذون من الظواهر ستاراً لما يخفون، ولقد كان ابن حزم اموي النزعة متعصباً لهم شديداً في تعصبه وكان وزيراً من وزراء امرائهم ويؤيد كل من يدعوا الى نفسه منهم ومثل ذلك ممن له مواهب ابن حزم يجتهد ذوو الامر في ابعاده عن العامة.

ج . انتشار المذهب الظاهري :

انتشر القول بالظاهر في بلاد المشرق في القرنين الثالث والرابع الهجري / التاسع والعاشر الميلادي حتى ذكر انه كان رابع مذهب في القرن الرابع في الشرق وكان الثلاثة التي هو رابعها مذهب الشافعي وابي حنيفة ومالك فكأنه كان في الشرق اكثر انتشاراً وتابعاً من مذاهب امام السنة احمد بن حنبل في القرن الرابع الهجري(٥٠).

وفي هذه المدة التي كان المذهب الظاهري سلطان في بلاد المشرق ظهر فيه علماء افذاذ امدوا الفكر العلمي بعناصر قوية واراء تستمد قوتها من الكتاب والسنة فعملوا بذلك على نشره في ارجاء المعمورة.

ولكن جاء بعد ذلك في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي القاضي ابو يعلى، محمد بن الحسين بن الفراء(ت: ٤٥٨هـ/١٠٦٥م) وجعل المذهب الحنبلي في المشرق مكانةً زحزحت المذهب الظاهري عن مكانه وحل محله بدوافع سياسية لأن الدولة العباسية جعلت من هذا المذهب مذهباً رسمياً للدولة(٥١).

١- انتشاره في المغرب

انتشر المذهب الظاهري في المغرب بعد وفاة ابن حزم عام(٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م) فمن المعروف ان المهدي محمد بن تومرت (٤٨٥- ٥٢٤ هـ/ ١٠٩٢- ١١٣٣ م) مؤسس دولة الموحدين خرج من بين تعاليم ابن حزم في دعوته ولا سيما فيما يتعلق منها بمحاربة التقليد وألاحتكار المذهبي وكان هدفه في ذلك محاربة نفوذ المالكية اللذين ازداد نفوذهم في عهد المرابطين.

" واذا نظرنا الى عداوة ابن تومرت للرأي وكراهيته للتقليد، فأننا نجد افكاره في التشريع متشابهة بأفكار الظاهرية ولاشك انه اطلع على كتب ابن حزم "[٥٢].

إذن من هذا النص يظهر وجه التقريب بين ابن تومرت والظاهرية، فقد كان شديد الكره للاجتهاد الشخصي الناتج عن الرأي معتمداً بالدرجة الاساس .كما هو عند الظاهرية . على الاستناد الى الكتاب والسنة والاجماع.

كانت اوجه الشبه التي قاربت بين اراء ابن تومرت والظاهرية حملت بعض المؤرخين[٥٣]، على القول بظاهرية ابن تومرت، الا انه لم يكن ظاهرياً في كل ارائه حيث خالفهم في بعض ارائهم ولا سيما في الناحية الكلامية[٥٤].

فنستنتج من هذا ان عقيدة ابن تومرت كانت عبارة عن خليط متجانس من الاراء، اذ اخذ من كل مذهب من المذاهب الاسلامية، ما عساه ان يوافق اهدافه السياسية والدينية التي سعى الى تحقيقها.

ان مذهب المهدي محمد بن تومرت وخلفاء الموحدين على العموم فيما يرجع الى الاحكام الفقهية هو مذهب ابن حزم الظاهري بشكل او بأخر، ولا يوجد في الواقع نص واضح يثبت ان احداً من خلفاء الموحدين امر بأتباع المذهب الظاهري، بيد ان الموقف الذي اتخذه يعقوب المنصور (٥٨٠- ٥٩٥ هـ/ ١١٨٤- ١١٩٩ م) ووالده يفيد ان هذين كانا يفضلان العمل بظاهر الكتاب والسنة وبذلك يقول ابن بسام عن ابي يعقوب يوسف (٥٥٨-٥٨٠هـ/١١٦٢-١١٩١م)، في حكاية يرويها محمد بن عبدالله بن يحيى بن الجد (ت: ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م) :

" لما دخلت على امير المؤمنين ابي يعقوب اول دخله دخلتها عليه وجدت بين يديه كتاب ابن يونس فقال لي : يا ابا بكر انا انظر في هذه الاراء المتشعبة التي احدثت

في دين الله : أرئيت يا ابا بكر المسألة فيها اربعة اقوال او خمسة اقوال اواكثر من هذا، فأي هذه الاقوال هو الحق ؟ وايها يجب ان يأخذ به المقلد ؟ فأفتتحت أبين له ما اشكل عليه من ذلك فقال لي وقطع كلامي : يا ابا بكر ليس الا هذا واشار الى المصحف او هذا واشار الى الكتاب سنن ابي داود وكان على يمينه او السيف "[٥٥].

وبهذا يتبين ان المذهب الظاهري ظهر في الوجود مذهباً منتشراً بقوة السلطان بالحمل عليه وهكذا تحقق الحلم الذي كان يحلمه ابن حزم في انتشار مذهبه، وقد يقال ان الموحدين عملوا بالكتاب والسنة فأين هذا من المذهب الظاهري، فنقول انهم اذا دعوا الى ظاهر الكتاب والسنة فقد دعوا الى المذهب الظاهري، لأنه المذهب الذي يمنع التقليد ويدعوا الى ظاهر الكتاب والسنة، وان ابن حزم كان موضع تقدير هذه الدولة.

اما يعقوب المنصور (٥٨٠-٥٩٥هـ/١١٨٤-١١٩٨م)، فأنه احرق عدة كتب في الفقه وامر بعدم الخوض في علم الرأي كما جمع جملة من الاحاديث وامر الناس بحفظها وبذلك يقول المراكشي :

" وفي ايامه انقطع علم الفروع وخافه الفقهاء، وامر بأحراق كتب المذهب بعد ان يجرد منها حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والقرآن ففعل ذلك فأحرق منها جملة في سائر البلاد كمدونة سحنون وكتاب ابن يونس ونوادر بن ابي زيد ومختصره وكتاب التهذيب للبراذعي وتقدم الى الناس في ترك الاشتغال بعلم الرأي والخوض في شيء منه، وتواعد على ذلك بالعقوبة الشديدة، وامر جماعة ممن كان عنده من العلماء المحدثين بجمع احاديث من المصنفات العشرة... فأجابوه الى ذلك وجمعوا ما امرهم بجمعه فكان يمليه بنفسه على الناس ويأخذهم بحفظه... وكان قصده في الجملة محو مذهب مالك وازالته من المغرب مرة واحدة، وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث وهذا المقصد بعينه كان مقصد ابيه وجده، الا انهما لم يظهراه واظهره يعقوب هذا "[٥٦].

وان يعقوب المنصور لم يكتف بذلك النشر العام بل اراد ان ينشأ طبقة من الطلبة على ذلك المنهاج تنقل تلك الطريقة الى الاخلاف منهاجاً متبعاً، ولذلك اتجه الى طلبة علم الحديث واستخراج الاحكام من نصه واغدق عليهم بعطاياه الكثيرة وبذلك قال في ذلك صاحب المعجب " ونال عنده طلبة العلم . اعني علم الحديث . مالم ينالوا في ايام

ابيه وجده وانتهى امره معهم الى ان قال يوماً بحضرة كافة الموحدين يسمعهم وقد بلغه حسدهم للطلبة على موضعهم منه وتقريبه اياهم وخاوته بهم دونهم . يا معشر الموحدين انتم قبائل، فمن ناب منكم امر فزع الى قبيلته، وهؤلاء يعني الطلبة . لا قبيل لهم الا انا، مهما نابهم امراً فأنا ملجئهم والي فزعهم والي ينتسبون "[٥٧].

يظهر ان يعقوب المنصور حاول ان يوجد طبقة من العلماء تسير على مقتضي ظاهر الكتاب والسنة ليضمن حياة وانتشار المذهب الظاهري، وعدم التقيد بمذهب من المذاهب التي تأخذ بالرأي من بعده في الاخلاف والاجيال المقبلة.

وفي الحقيقة ان الاخذ بظاهر الكتاب والسنة هو الفكرة التي سيطرت على دولة الموحدين منذ بدايتها، فقد تجسدت في عهد يعقوب المنصور، فقد كانت رأي ابيه وجده[٥٨]، وبذلك فأن عهد يعقوب المنصور يمثل عهد ازدهار المذهب الظاهري، فقد عم العمل به في شمال افريقيا والاندلس وسار العمل به بعد ذلك.

وبهذا تبين ان المذهب الظاهري ظهر في الوجود مذهباً منتشراً لقوة السلطان بالحمل عليه وهكذا تحقق الحلم الذي كان يحلمه ابن حزم في انتشار مذهبه.

اما الفقهاء فأنهم لم يتحمسوا في المغرب والاندلس لهذا المذهب، حتى ان اكثر من ألفوا فيه او انتحلوه اندلسيو الاصل كأبن دحية الكلبي (ت: ٦٣٣هـ/١٢٣٥م)، وابي رزين بن ثابت بن محمد يوسف بن خيار البلنسي (ت:٦٢٨هـ/١٢٣١م)، وقليل منهم مغاربة كالمزدغي الفاسي، وعبدالله بن محمد بن هارون المرادي، واخذوا عن الموحدين مذهب الاشاعرة في الاعتقاد ولم يقولوا بعصمة المهدي محمد بن تومرت[٥٩].

وبعد سقوط دولة الموحدين عام (٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م)، اظمحلت مدرسة ابن حزم الظاهرية، وان كانت آثارها باقية في المغرب عدة قرون، وهذا ما يؤكده لسان الدين ابن الخطيب ان الفقيه عبد المهيمن بن محمد الاشجعي (ت: ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م) كان يقلد مذهب الفقيه ابن حزم الظاهري حين يقول " وكان يتقلد مذهب ابي محمد علي بن حزم الفقيه الظاهري ويصول بلسانه على من نافره "[٦٠].

٢. انتشاره في الأندلس :

انتشر المذهب الشافعي في الاندلس تحت تأثير التيار السياسي، الذي تزعمه الامير عبد الله بن عبد الرحمن الناصر، الذي كان يميل الى اراء الشافعي، وقد لقي هذا الامير حتفه على يد ابيه اذ اتهم بالتدبير عليه والرغبة في خلعه بسبب مبايعة الناصر لابنه الحكم ولياً للعهد دون الامير عبد الله وكان لذلك اثر سيئ على المذهب الشافعي في الاندلس اذ توقف نشاطه حتى ايام الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م).

وكان الحكم المستنصر يحسن وفادة القادمين من المشرق الى الاندلس ممن كانوا يعدون من شيوخ المذهب الشافعي مثل ابي الطيب محمد بن احمد بن ابي برده الشافعي البغدادي الذي وفد على الاندلس سنة (٣٦١هـ/٩٧١م) وتألب عليه الفقهاء بسبب ما كان يقول به من اراء المعتزلة، وما زالوا بهشام المؤيد حتى اخرجه من الاندلس عام (٣٧٣ هـ/ ٩٨٤ م) وقد قال ابن الفرضي (ت: ٤٠٣هـ/١٠١٣م) فيه :

" ووصل ابو الطيب الى الاندلس سنة احدى وستون وثلاثمائة، فأكرمه امير المؤمنين المستنصر وامر باجراء النزل عليه وكان من اعلم الناس بمذهب الشافعي واحسنهم قياماً به لم يصل الى الاندلس افهم منه بالمذهب، ولم تكن له كتب ذكر انها ذهبت له مع مال جسيم في المغرب وكان ينسب الى الاعتزال، ورفع ذلك الى السلطان فأمر باخراجه من البلد وذلك في رجب سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة، فصار بتيهرت عند بنت له وتوفى بها في ذلك العام "[٦١].

وبالرغم من هذه الاحداث السياسية التي اثرت على المذهب الشافعي، الا انه اتسع انتشاره في الاندلس نتيجة السياسة المفتوحة تجاه المشرق التي اتبعها الحكم المستنصر في استدعاء العلماء والفقهاء من المشرق.

الى جانب المذهب الشافعي الذي شاع انتشاره بوجه خاص في ايام الحكم المستنصر تسلل المذهب الظاهري الى قرطبة على يد عبد الله بن محمد بن قاسم بن هلال (ت: ٢٧٢هـ/٨٨٥ م) الذي رحل الى المشرق وتتلمذ على يد داود بن علي الاصبهاني فنشأ مذهب الظاهر ونسخ كتبه بخطه واقبل بها الى الاندلس، وكان ابن القاسم الى جانب ذلك من العارفين بمذهب الشافعي لكنه انصرف الى المذهب الظاهري

واجتهد في نشره[٦٢]. ويبدو انه لم يوفق فيما رمى اليه لأن تلميذيه ابن ايمن وقاسم بن اصبغ من اهل الحديث.

وفي القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي سافرت طائفة كبيرة من علماء قرطبة البارزين الى بلاد المشرق، حيث سامراء عاصمة الخلافة العباسية، ينهلون من علمها ويردون موارده العذبة فيها ومنهم من التقى الامام احمد بن حنبل ومعاصريه كداود بن علي الاصبهاني وغيره، وان لم يكونوا ظاهريين في اقوالهم فقد كانت ارائهم تنحو نحو الظاهر او تمد الفكر الظاهري بعناصر من السنة وطوائف من الاثار، وقد اخذوا من المذهب الظاهري عدم التقيد بمذهب والاختيار والاخذ بألاحكام من الكتاب والسنة[٦٣].

وقد توقف انتشار المذهب الظاهري نتيجة الاوضاع السياسية في عهد المنصور بن ابي عامر (٣٩٢.٣٦٦هـ/١٠٠١.٩٧٦م) الذي خطب ود طبقة الفقهاء المالكية وتظاهره في انكار غير المالكية من المذاهب، ولكن ايام المنصور لم تكد تنقضي حتى ظهر المذهب الظاهري من جديد وانصرف الى اذاعته في قرطبة ابا الخيار مسعود بن سلمان بن مفلت الذي انكر عليه فقهاء المالكية ذلك ومنعوه من التدريس في جامع قرطبة، فكان لموقف الفقهاء منه وتتبعهم اياه اثره العميق في بعث المذهب الظاهري وخاصةً على يد تلميذه ابن حزم[٦٤].

وبعدئذ ظهر علماء يعلنون اختيارهم للمنهاج الظاهري وعلى رأسهم قاضي من اعظم قضاة الاندلس، بل ابرزهم شخصية واقواهم اثراً وهو المنذر بن سعيد البلوطي المتوفى سنة (٣٥٥هـ/٩٦٦م)[٦٥]. وقد قال فيه المقري " وكان منذر بن سعيد متفنناً في ضروب العلوم وغلب عليه التفقه بمذهب ابي سليمان بن علي الاصبهاني المعروف بالظاهري، فكان منذر يؤثر مذهبه ويجمع كتبه ويحتج لمقالته ويأخذ به في نفسه وذويه، فأذا جلس للحكومة قضى بمذهب الامام مالك واصحابه وهو عليه العمل بألاندلس، وحمل السلطان اهل مملكته عليه "[٦٦].

وبهذا جمع بين ارضاء عقله كفقيه واقامة موازين العدل بين الناس بمقتضى الولاية العامة التي تولاها فدراسته في الفقه اساسها المذهب الظاهري وتطبيقه القضائي

سار فيه على المذهب المالكي لأ ولي الامر خصصه به لا يقضي بسواه وبذلك حقق العدالة القضائية على اكمل وجه.

كما كان لتنقلات ابن حزم بين شاطبة والمرية وقرطبة وبلنسية يدرس ويدارس ويجتلب بأراءه وبيانه نفوس الشباب وقد كان له اثر واضح في تفكيرهم حتى ان ابو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي (ت: ٤٧٣هـ/١٠٨١م)، الذي التقى به في ميورقة قال عنه المقري: " ولما قدم الاندلس وجد لكلام ابن حزم طلاوةً الا انه كان خارجاً عن المذهب ولم يكن بالاندلس من يشتغل بعلمه بقصرت السنة الفقهاء عن مجادلته وكلامه واتبعه على رأيه جماعةً من اهل الجهل وحل بجزيرة ميورقة فرأس فيها واتبعه اهلها فلما قدم ابو الوليد كلموه في ذلك فدخل اليه وناظره وشهر باطله وله معه مجالس كثيرة "[٦٧].

ويظهر ان ابن حزم انتقل الى ميورقة سنة (٤٤٠ هـ/ ١٠٤٨م) لأن له بها تلاميذ واتباع وان مذهبه وارائه كان لها مجيب بين اهلها.

ويظهر من ثنايا الحوادث وملاحظة الاماكن المتقاربة ان ابن حزم كان يدارس وينشر ارائه حيثما حل واتجه وانه كان ينتقل بين بلنسية وميورقة لتقاربهما ويعود الى قرطبة، وقد وجد في ميورقة اتباع كثيرون حتى انه كان رأس فيها[٦٨]. وسيطر بفكره ويظهر ان الذي مكن له ذلك انه كان له صاحب اسمه احمد بن رشيق، وكانت لهذا ولايتها مما اعطاه دفعه سياسية في نشر مذهبه وقد توفي ابن رشيق سنة (٤٤٠هـ/١٠٤٨م) وبعد موته قد ضعف امر ابن حزم وتظاهر عليه الفقهاء كما تظاهروا من قبل واستعانوا بأبي الوليد الباجي الذي عاد من الشرق في هذا العام فناقش ابن حزم وانتصر عليه[٦٩].

واضن انه ما كان الانتصار بالحجة والبرهان، بل كان بقوة السلطان فما افلح عليه بحجة ولكن ذهب المناصر بن رشيق فتظاهر الفقهاء عليه والبوا عليه السلطان وخرج من ميورقة لا مغلوباً في حجاج ولكن قد فقد النصير المؤيد ولم يعد الانتصار ذو الحجة، بل صار الانتصار لمن هو اكثر عدداً واعزنفراً.

وهكذا تجلي ابو الوليد الباجي تحت تأثير ودعم الوضع السياسي بحماية المذهب المالكي في الاندلس وصد تيار المذهب الظاهري " فقد كان ابو الوليد اثيراً عند المقتدر

بالله فصار اليه مرتاحاً وبدا بأفقه ملتاحاً وكان المقتدر يباهي بأنحياشه الى سلطانه وايثاره بحضرته باستيطانه ويحتفل فيما يرتبه له ويجريه "[٧٠].

كما كان لأحمد بن محمد بن مفرج بن ابي الخليل الملقب بأبن الرومية (٥٦١ . ٦٣٧ هـ/ ١١٦٥. ١٢٣٩م) دوراً كبيراً في نشر المذهب الظاهري وكتب ابن حزم فقد كان فقيهاً ظاهرياً متعصباً لأبي محمد بن حزم بعد ان تفقه بالمذهب المالكي[٧١]. وقال لسان الدين ابن الخطيب فيه : " كان سنياً ظاهري المذهب منحياً على اهل الرأي ، شديد التعصب لأبي محمد علي بن سعد بن حزم، على دين متين وصلاح تام وورع شديد، انتشرت عنه تصانيف ابي محمد بن حزم، واستنسخها واظهرها واعتنى بها وانفق عليها اموالاً جمة حتى استوعبها جملةً "[٧٢].

ثالثاً : مدرسة ابن حزم (الحزمية)

لم تلبث طريقة ابن حزم . بعد تطبيقها على علوم الدين والفقه . ان اصبح مذهباً قائماً بذاته، حل محل المذهب الظاهري، وكون اتباعه فرقة عرفت (بالحزمية) وقد نذكر من رجالها ممن اخذ عن ابن حزم مباشرة صاعد الطليطلي[٧٣]. والفقيه المحدث ابن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، وابو النجاة سالم بن احمد بن فتح القرطبي (ت:٤٦١هـ/١٠٦٨م)، وقد اجتهد في اذاعة نسخ مؤلفات ابن حزم والحميدي المؤرخ والمحدث، شريح بن محمد بن شريح الرعيني، المقرء المحدث (ت: ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م)، وابا محمد بن العربي والد الفقيه المعروف ابي بكر محمد بن علي بن عربي[٧٤].

وأول من نشر علمه في بلاد المشرق تلميذه ابوعبد الله بن ابي نصر الحميدي بعد هروبه من الاندلس بعد وفاة ابن حزم، وكان في هروبه نشر المذهب الظاهري في المشرق . مذهب ابن حزم . بالكتب المدونة التي سجلته[٧٥].

وكان لانتشار التلاميذ ونشر الكتب اثره في الاجيال فقد كان لا يخلو جيل من ظاهري ينتصر لاهل الظاهر ويدافع عنهم ويدعوا بمثل تفكيرهم وفكرهم فمن تلاميذ الحميدي ابو الفضل محمد بن طاهر المقدسي اخذ عنه فقه الظاهر وانتصر له ودعا اليه في المشرق[٧٦].

وهكذا انتقل مذهب ابن حزم الى الشرق وداع بين اهله واثنى ابو حامد الغزالي على بعض كتبه حينما قال : ((وجدت في اسماء الله تعالى كتاباً لابي محمد بن حزم يدل على عظم حفظه وسيلان ذهن))[٧٧].

اما في المغرب والاندلس فاننا نجد طائفة كبيرة من المؤلفين حملت مؤلفاتهم طابع (المذهب الحزمي) ومن اولئك محمد الانصاري وابو بكر بن باشر الانصاري وغيرهم[٧٨].

وقد مال محمد بن تومرت مهدي الموحدين (ت: ٥٢٤هـ/١١٢٩م) الى مذهب ابن حزم اذ وجد منه ما يؤيد دعوته ووصل نفر من فقهاء الحزمية الى كبار المناصب في دولة الموحدين ومن اولئك الفقيه الغرناطي ابو سليمان بن حوط الله، وقد ولى قضاء اشبيلية وقرطبة ومرسية وعلي بن عبد الله بن يوسف المعافري قاضي اشبيلية والحافظ ابو بكر محمد بن احمد بن يحيى بن سيد الناس خطيب مسجد تونس وولي صلاة الفريضة والخطبة بالجامع الاعظم ببجاية. وابو الخطاب بن دحية عمر بن الحسن بن علي(ت:٦٣٣هـ/١٢٣٥م) قاضي دانية[٧٩]. ومجد الدين عمر بن الحسن بن علي (ت: ٦٥٩هـ/١٢٦١م) ولي قضاء بلده دانية مرتين ورحل عنها وحدث بتونس سنة (٥٩٥ هـ/١١٩٨م) ثم حج وكتب بالمشرق عن جماعة بأصبهان ونيسابور وعاد الى مصر فأستأدبه ابي بكر بن ايوب العادل لولده محمد الكامل واسكن القاهرة، وانشأ له الكامل مدرسة الحديث الكاملية وجعله مشرفاً عليها [٨٠].

وبذلك يقول الغبريني (ت: ٧١٤هـ/١٣١٤م)، " وارتحل الى المشرق في مدة بني ايوب، فرفعوا شأنه وقربوا مكانه وجمعوا له علماء الحديث وحضروا له مجلساً اقروا فيه بالتقدم واعترفوا له انه من اولي الحفظ والاتقان و الفهم "[٨١].

ومن اتباع المذهب الحزمي أو الاخذين بشيء منه محمد بن علي بن محمد الحاتمي الشهير بمحيي الدين بن عربي (٥٦٠–٦٣٨هـ/١١٦٤–١٢٤٠م)، امام الاصول والفروع الذي كان له اثر في الفكر الاسلامي فقد ترك التقليد للقياس وانتج الفرع من الاصل[٨٢]، وفيه يقول المقري " وكان ظاهري المذهب في العبادات باطني النظر في

الاعتقادات "[٨٣]، فقد كانت مساهمة محمد بن عربي جادة في عصر الموحدين الذين نشروا المذهب الظاهري بألاندلس وبلاد المغرب.

ونسبة بعض اهل العلم الى المذهب الظاهري خطأ ويذهب البعض الاخر الى انه مقلد لمذهب ابن حزم الظاهري فيرد عليهم ابن عربي بقوله[٨٤] :

نسبوني الى ابن حزم واني لست ممن يقول قال ابن حزم
لا ولا غيره فأن مقالي قال نص الكتاب ذلك علمي
او يقول الرسول او اجمع الخلق على ما أقول ذيك حكمي.

وعليه فأن الشيخ محمد بن عربي امام صاحب مذهب فقهي مستقل يكون في مذهبه ما يوافق من سبقه من الائمة الاربعة (ابي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل) وما يخالفهم كما ان في مذهبه ما يوافق الظاهرية وما يخالفهم في الاصول والفروع، فهو امام مجتهد من ائمة اهل السنة والجماعة.

واقتدى ابو الوليد محمد بن رشد (٥٢٦-٥٩٥هـ/١١٢٦-١١٩٨م)، بأبيه وجده فكان علم التوحيد على مذهب الاشاعرة والفقه على المذهب المالكي اول ما درس، ويثني مترجموه على معارفه في الفقه ثنائهم على معارفه في الطب والفلسفة تقريباً[٨٥]. ومال محمد بن رشد اخيراً الى المذهب الظاهري، وكانت له مساهمة جادة في نشر المذهب في الاندلس، وبالاعتماد عليه في الدراسات الفقهية[٨٦].

وكان ابو الوليد الباجي يعمل على تفنيد مذهب الظاهرية وكان يوافق احياناً ولا يوافق احياناً ولنذكر بعض اقواله في الرد على ابن حزم " وكان اول بدعة لقيت في رحلتي القول بالباطن، فلما عدت وجدت القول بالظاهر قد ملأ به المغرب سخيف كان من بادية اشبيلية يعرف بأبن حزم نشأ وتعلق بمذهب الشافعي ثم انتسب الى داود ثم خلع الكل واستقل بنفسه وزعم انه امام الامة يضع ويرفع ويحكم ويشرع ينسبوا الى دين الله ما ليس فيه ويقول عن العلماء ما لم يقولوا تنفيراً للقلوب وعضدته الرياسة... فحين عودي من الرحلة القيت حضرتي منهم طافحة ونار ظلالتهم لافحة "[٨٧].

اما رمي ابن حزم بالسخف قول فيه اجحاف وقد انصفه ابن حيان والذهبي (ت: ٧٤٨هـ/١٣٧٤م)، وشكى ابن حزم من علماء وقته وكان يعتقد ان من سوء حظه انه اندلسي ولو كان مشرقياً لعرفوا فظله وشادوا بذكره وكان له شأن اخر غير شأنه وقال ينعي اهل الاندلس " ان الاندلس خصت بحسد اهلها للعالم الظاهر فيها الماهر منهم واستقلالهم كثيراً ما يأتي به واستهجانهم حسناته وتتبعهم سقطاته ان اجاد قالوا سارق مغير ومنتحل مدع وان توسط قالوا غث بارد وضعيف ساقط وان باكر الحيازة لقصب السبق قالوا متى كان هذا ومتى تعلم وفي أي زمن قرأ "[٨٨].

وقد اسرع المذهب الحزمي الى الزوال بعد انقضاء الدولة الموحدية عام (٦٦٨هـ/١٢٦١م)، ولم نجد من اتباعه خلال القرن السابع الهجري / الثالث عشر ميلادي الا اعداد قليلة من العلماء وعامة الناس مثل اثير الدين ابي حيان النحوي (ت: ٦٧٢هـ/١٢٧٤م) واحمد بن جابر القيسي كاتب الامير ابي السعيد فرج بن محمد بن نصر احد سلاطين بني الاحمر اما في مصر نشهد اخر مظهر لوجود المذهب الحزمي، فقد اجتهد احمد البرهان (ت: ٨٠٧هـ/١٤٠٥م) في احياء معالم ذلك المذهب على غير جدوى، وممن اثنى عليه تقي الدين المقريزي (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤٢م) وعبد الوهاب الشعراني الصوفي المشهور (ت: ٩٧٢هـ/١٥٦٥م) ونرى في مراكش شيء شبيهاً بذلك في تضاعيف الحركة السياسية التي اثارها ابو عبد الله محمد الاندلسي نزيل مراكش في ايام عبد الله الغالب (٩٦٤.٩٨٠هـ/١٥٥٧.١٥٧٣م)[٨٩].

الخاتمة

نشأ ابن حزم في بيت اعتز به، فكان متجهاً منذ نشأته الى معالي الامور، ووجد اباه مثلاً صالحاً للقدوة، ولكن ابوه كان وزيراً في دولة قائمة العمد ثابتة الاركان، اما ابن حزم فعاش في حقبة الاضطراب السياسي، فكانت سبباً لكمال تربيته وارهاف ارادته وتقوية عزيمته، فكان صلب العود قوى النفس يعلوا على الاحداث.

وقد اوفى ابن حزم مدارك عالية ومواهب سامية، فتفرغ للعلم وانصرف اليه وقد حاول ان يخدم دينه في السياسة، فوجد السياسة معتكرة واحوالها مضطربة فتركها وعاد الى نور العلم يستضيء به واضاء له حتى صار عالم الاندلس حقاً.

وتلقى ابن حزم عبء الدفاع عن المذهب الظاهري في حياته، ولكنه لقي ما لقي في سبيل هذا المذهب حتى نكره اهل زمانه وجفاهم اذ جفوه، واحس بأنه جوهرة بينهم ولكنهم طمسوها او تجاهلوها واشتد معهم في القول واختار اعنف القول ليجادلهم به، ومازال معهم في نزال وجدال حتى اغروا به الامراء فأحرقوا كتبه، وانتهى الامر بلزوم ضيعته.

ولكن حدثت امور ساعدت على انتشار المذهب الظاهري . مذهب ابن حزم . وافاد منهما فائدة جلية **اولهما** : ان ابن حزم التجأ الى داره في ضيعته، فكان التلاميذ يقصدونه مخلصين في طلب ماعنده، واولئك الطلبة، وان كانوا عدداً قليلاً ومن صغار الطلبة، فقد كان شأنهم عظيماً، اغنى اخلاصهم عن الكثرة في نشر المذهب الذين نقلوا عليه ونشروه بنشر كتبه، واول من نشر علمه في بلاد المشرق تلميذه محمد بن ابي نصر فتوح بن عبدالله الحميدي الذي هرب من الاندلس بعد وفاة ابن حزم وكان في هروبه نشر المذهب الحزمي في المشرق بالكتب المدونة.

والامر **الثاني** ان ابن حزم دون المذهب ووازنه بغيره ورتب احواله فسجله في الوجود بحيث ينتجعه من يقصده.

وثالثهما : الوضع السياسي الذي تهيأ له بمجيء دولة الموحدين الذين عملوا على نشر التمسك بكتاب الله تعالى وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) وبالتالي عملوا على نشر المذهب الظاهري مذهب ابن حزم لما كانوا يقدرونه ويجلونه.

وان كان لأنتشار التلاميذ ونشر الكتب اثره في الاجيال، فقد كان لا يخلو جيل من ظاهري حزمي ينتصر لأهل الظاهر ويدافع عنهم ويدعو لمثل تفكيرهم، فمن تلاميذه الحميدي وابو الفضل محمد بن طاهر المقدسي، الذي اخذ عنه فقه الظاهر وانتصر له ودعا اليه في المشرق كما كانت الاندلس والمغرب لا تخلوا من فقيه ظاهري في عصر من العصور.

قائمة المصادر والمراجع والهوامش

١_ المراكشي، عبد الواحد (ت: ٦٤٧هـ/١٢٤٩م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق : محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، (القاهرة : ١٩٤٩)، ص٧٠.

٢ _ المقري، احمد بن محمد التلمساني (ت: ١٠٤١هـ/١٦٣١م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق : يوسف الشيخ محمد البقاعي، (بيروت : ١٩٩٨)، ١/٣٣٨ _٣٣٩.

٣ _ لسان الدين ابن الخطيب (ت: ٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني، الأحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق : يوسف علي طويل، (بيروت : ٢٠٠٣)، ٤ / ٨٨.

٤ _ابن كثير، عماد الدين ابي الفداء اسماعيل (ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، تحقيق : احمد بن شعبان بن احمد ومحمد بن عيادي بن عبد الحليم، (القاهرة : ٢٠٠٣)، ١٢ /٧٩.

٥ _ ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك بن مسعود (ت: ٥٧٨هـ/١١٨٢م)، الصلة، تحقيق : ابراهيم الابياري، (القاهرة . بيروت : ١٩٨٩)، ٢ /٦٠٥ ؛ ابن خلكان، احمد بن محمد بن ابي بكر (ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق : احسان عباس، (بيروت : بلا)، ٣ / ٣٢٦ ؛ المقري، نفح الطيب، ٢ / ٢٣٩.

٦ _ ابن الابار، محمد بن عبدالله بن ابي بكر (ت: ٦٥٩هـ/١٢٦٠)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق : ابراهيم الابياري، (القاهرة . بيروت : ١٩٨٩)، ١ / ٧٨.

٧ _ الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، العبر في اخبار من غبر، تحقيق : ابوهاجر محمد السعيد بن بيسوني زغلول، (بيروت : ١٩٨٥)، ٢ / ٣٠٦ ؛ لسان الدين ابن الخطيب، الاحاطة، ٤ / ٨٨ ؛ المقري، نفح الطيب، ٢ / ٢٣٩.

٨ _ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣ / ٣٢٥ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢ / ٧٩.

٩ _ الحميدي، محمد بن ابي نصر فتوح بن عبد الله (ت: ٤٨٨هـ/١٠٩٥م)، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الاندلس، تحقيق : ابراهيم الابياري، (القاهرة – بيروت : ١٩٨٩)، ٢ / ٤٩٠ ؛ الضبي، احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة (ت: ٥٩٩هـ/١٢٠٢م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس، تحقيق : ابراهيم الابياري،(القاهرة . بيروت:١٩٨٩)، ٢ / ٥٤٢.

١٠ _ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢ / ٧٩.

١١_ الحميدي، جذوة المقتبس، ١ / ١٩٩.

١٢ _ المصدر نفسه، ٢/ ٤٩٠ ؛ لسان الدين ابن الخطيب، الاحاطة، ٤ / ٨٨.

١٣ _ ابن بشكوال، الصلة، ٢ / ٦٠٥.

١٤ _ الحميدي، جذوة المقتبس، ١ / ١٩٩.

١٥ _ الحجي، عبد الرحمن علي، اندلسيات، المجموعة الاولى، (بيروت : ١٩٦٩)، ص١١٧.

١٦ _ المقري، نفح الطيب، ٢ / ٢٣٩.

١٧ _ لسان الدين ابن الخطيب، الاحاطة، ٤ / ٨٨.

١٨ _ ابن بشكوال، الصلة، ٢ / ٦٠٥ .٦٠٦ ؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣ / ٣٢٦.

١٩ _ الحميدي،جذوة المقتبس،٢ /٤٩١ ؛الضبي،بغية الملتمس،٢/٥٤٤ ؛ المقري، نفح لطيب،٢ /٢٤٢.

٢٠ _ الحميدي، المصدر نفسه، ٢/ ٤٩٢ ؛ الضبي، المصدر نفسه، ٢/ ٥٤٤.٥٤٥.

٢١ – المقري، نفح الطيب، ٢ / ٢٣٨.

٢٢ _ بالنثيا، انخل جنثالث، تاريخ الفكر الاندلسي،ترجمة، حسين مؤنس، ط٢،(القاهرة : ١٩٥٥)، ٢٦١.

٢٣ _ المراكشي، المعجب، ص٤٦ . ٤٧ ؛ امين، احمد، ظهر الاسلام، (بيروت : ١٩٥٣)، ٢/ ٥٦.

٢٤ _ ابن حزم، علي بن احمد بن سعيد (ت: ٤٥٦هـ/١٠٦٣م)، طوق الحمامة في الالفة والالاف، تحقيق : عبد الرحيم احمد قمحية، (حمص : ٢٠٠٥)، ص١٧٤ . ١٧٥ ؛ ابو زهرة محمد، ابن حزم . حياته وارائه الفقهية، (القاهرة : ١٩٥٤)، ص٤٢.

٢٥ _ نفح الطيب، ٢ / ٢٣٨ . ٢٣٩.

٢٦ _ امام اهل الظاهر، كان فقيهاً زاهداً، وفي كتبه حديث كثير دال على غزارة علمه، مولده في الكوفة سنة (٢٠٠هـ/٨١٥م)، ونشأ ببغداد وانتهت إليه رياسة العلم بها وتوفي سنة (٢٦٩هـ/٨٨٢م)، ينظر ابن كثير، البداية والنهاية، ١١ / ٤١.

٢٧ _ لسان الدين ابن الخطيب، الاحاطة ٤ / ٩٠ ؛ المقري، نفح الطيب، ٢ / ٢٤٣.

٢٨ _ ايرفوا، دومنيك، (علماء الاندلس)، الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس، ط٢، (القاهرة : ١٩٩٩)، ٢ / ١١٩٧.

٢٩ – ايرفوا، المرجع نفسه ٢ / ١١٩٧.

٣٠ _ البداية والنهاية، ١٢/ ٧٩.

٣١ _ ايرفوا، علماء الاندلس، ٢ / ١١٩٨.

٣٢– بالنثيا، الفكر الاندلسي، ص٢١٦.

٣٣– نقلاً عن بالثيا، المرجع نفسه، ص٢١٩ – ٢٢٠.

٣٤– المقري، نفح الطيب، ٢ / ٢٤٠.

٣٥– الحميدي، جذوة المقتبس، ٢ / ٤٩٠ ؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ٤ / ٨٨.

٣٦– ينظر : المقري، نفح الطيب، ٢/٢٤٠.

٣٧– ينظر : الحميدي، جذوة المقتبس، ٢/٤٩٠ ؛ ابن بسام، ابي الحسن علي الشنتريني (ت: ٥٤٢هـ/١١٤٧م)، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ق١. م١، تحقيق : احسان عباس، (بيروت : ١٩٧٨)، ١٤٣ ؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣/٣٢٦.

٣٨– لسان الدين ابن الخطيب، الاحاطة، ٤/٩١.

٣٩– ابن بشكوال، الصلة، ٢/٦٠٥ ؛ المراكشي، المعجب، ص٤٧ ؛ المقري، نفح الطيب، ١/٢٤٣.

٤٠– ابو زهرة، ابن حزم، ص٢٦٤.

٤١- المعجب، ص٤٦-٤٧.

٤٢- ابو زهرة، ابن حزم، ص٢٦٤.

٤٣- امين، ظهر الاسلام، ٣/٥٤.

٤٤- المراكشي، المعجب، ص٤٦ وما بعدها ؛ امين، ظهر الاسلام، ٣/ ٥٧.

* - شيخ طليطلة وفقيهها، كان من اهل العلم والدهاء، فكان اسماعيل بن ذي النون (٤٢٧-٤٣٥هـ/١٠٣٥-١٠٤٣م) صاحب طليطلة لا يقطع امراً دونه، وفي ايام ابنه يحيى (٤٣٥-٤٦٧هـ/١٠٤٣-١٠٧٤م) اجرى اموره مع ابن الحديدي على سنن ابيه، وقد سعي به لدى السلطان وتمكنوا من قتله في حدود عام ٤٧٢هـ/ ١٠٧٩م لسان الدين بن الخطيب (ت: ٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، محمد بن عبدالله السلماني، اعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، تحقيق : ليفي بروفنسال، نشر تحت عنوان (تاريخ اسبانيا الاسلامية)، (القاهرة : ٢٠٠٤)، ص١٧٧-١٧٩.

٤٥- الزبيدي، بشرى عبدالعزيز، الثغر الاوسط الاندلسي في عصر الطوائف، دراسة في احواله السياسة والثقافية، رسالة ماجستير مكتوبة بالالة الكاتبة، (بغداد : ١٩٨٤)، ص١٣٠.

٤٦- ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣/٣٢٨.

٤٧- الاحاطة، ٤/٩١ : قارن : ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣/٣٢٧ -٣٢٨.

٤٨- البداية والنهاية، ١٢/٧٩.

٤٩- ابن بسام، الذخيرة، ق١. م١، ١٤٤ ؛ لسان الدين ابن الخطيب، الاحاطة، ٤/٩١-٩٢ ؛ العبادي، احمد مختار، في التاريخ العباسي والاندلسي، (بيروت : ١٩٧٢)، ص٥٣٢.

٥٠- ابو زهرة، ابن حزم، ص٢٦٧.

٥١- ابن الاثير، علي ابن ابي الكرم الشيباني (ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، تحقيق : عمر عبدالسلام تدمري، ط٤، (بيروت : ٢٠٠٤)، ٨ / ٢٠٨-٢٠٩.

٥٢- طارو، جان وجيرام، ازهار البساتين في اخبار الاندلس والمغرب في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة وتعليق : احمد ملـه فريج ومحمد الفاسي، (الرباط : ١٣٤٩)، ص٩٠.

٥٣- بالنثيا، الفكر الاندلسي، ص٢٣٨ ؛ عنان، محمد عبدالله، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس، (القاهرة : ١٩٦٤)، ٢٠٣/١.

٥٤- طارو، ازهار البساتين، ص٩٠.

٥٥- ابن بسام، الذخيرة، ق١. م١، ص١٤٠-١٤١ ؛ المراكشي، المعجب، ص٢٧٩.

٥٦- المعجب، ص٢٧٨-٢٧٩ ؛ ابو زهرة، ابن حزم، ص٥٢٠.

٥٧- المراكشي، المعجب، ص٢٧٩-٢٨٠.

٥٨- المراكشي، المصدر نفسه، ص٢٧٨-٢٧٩ ؛ ابو زهرة، ابن حزم، ص٥٢٠.

٥٩- حركات، ابراهيم، المغرب عبر التاريخ، (الدار البيضاء : ١٩٦٥)، ٣١٩/١.

٦٠- الاحاطة، ٩/٤.

٦١- تاريخ علماء الاندلس، ٨٠٤/٢.

٦٢- بالنثيا، الفكر الاندلسي، ص٤٣٩ ؛ فروخ، عمر، تاريخ الفكر العربي الى ايام ابن خلدون، ط٢، (بيروت : ١٩٧٩)، ص٥٨٦.

٦٣- ينظر، الغبريني، احمد بن محمد بن عبدالله (ت: ٧١٤هـ/١٣١٤م)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق : عادل نويهض، (بيروت : ١٩٦٩)، ص٢٩٤ ؛ المقري، نفح الطيب، ٢ / ٢١٥-٢١٦، بالنثيا، الفكر الاندلسي، ص٤٠٧-٤٠٨.

٦٤- السامرائي،خليل ابراهيم صالح، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس، (الموصل : ١٩٨٦)،ص.١٩٩

٦٥- ابو زهرة، ابن حزم، ص٢٧١.

٦٦- المقري، نفح الطيب، ١٩٥/٢.

٦٧- المقري، المصدر نفسه، ٢٣١/٢.

٦٨- المقري، المصدر نفسه، ٢٣١./٢

٦٩- المقري، المصدر نفسه، ٢٣٨/٢.

٧٠- ابن خير، محمد بن خير بن عمر (ت: ٥٧٥هـ/١١٧٩م)، فهرست ابن خير، تحقيق : ابراهيم الابياري، (القاهرة – بيروت : ١٩٨٩)، ٥٧٩/٢.

٧١- ابن الابار، التكملة، ١٢١/١ ؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ٨٤/١.

٧٢- الاحاطة، ٨٤/١.

٧٣- الحميدي، جذوة المقتبس، ٣٧٣/١ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ٢ / ٤١٣-٤١٤.

٧٤- بالنثيا، الفكر الاندلسي، ص٢٣٧.

٧٥- ابو زهرة، ابن حزم، ص٥١٨.

٧٦- ابو زهرة، المرجع نفسه، ص٥١٨.

٧٧- المقري، نفح الطيب، ٢٣٩/٢.

٧٨- بالنثيا، الفكر الاندلسي، ص٢٣٨.

٧٩- الغبريني، عنوان الدراية، ص٢٦٩، هامش (١).

٨٠- المقري، نفح الطيب، ٢٦٠/٢.

٨١- عنوان الدراية، ص٢٧٢.

٨٢- المقري، نفح الطيب، ٢٠٥/٢.

٨٣- المقري، المصدر نفسه، ٣٠٧/٢.

٨٤- ابن عربي، محمد بن علي بن محمد (ت: ٦٣٨هـ/١٢٤٠م)، رسائل ابن عربي، ضبط : محمد شهاب الدين العربي، (بيروت : ١٩٩٧)، ص٦.

٨٥- رينان، ارنست، ابن رشد والرشدية، ترجمة : عادل زعيتر، (القاهرة : ١٩٥٧)، ص٣٣.

٨٦- بالنثيا، الفكر الاندلسي، ص٢٣٨.

٨٧- امين، ظهر الاسلام، ٦٤/٣.

٨٨- امين، المرجع نفسه، ٣ / ٦٤.

٨٩- بالنثيا، الفكر الأندلسي، ص٢٣٨-٢٣٩.